الشخصية في رواية فاليوم عشرة بين الانتماء والانعتاق

ا.د. ضياء غني العبودي
جامعة ذي قار / العراق

ملخص :

يتناول البحث الانتماء في رواية (فاليوم عشرة) وهي رواية تناولت الحرب ونتائجها لاسيما سقوط مدينة الموصل في عام 2014 ، فقد انهارت الحياة بكل تفاصيلها الجميلة وتشظت الهوية الفردية والوطنية وتشتت الولاء وتحول الوطن نهبا تتنازعه المصالح الضيقة ، وكأن احتلال الأرض ظهرت نتائجه في الانتماء والانعتاق عن الوطن .

الكلمات المفتاحية : الانتماء ، الهوية ، التشظي ، المواطنة .

Abstract

Research studies affiliation in the novel (valiapm 10)The text dealt with the war as a result, not as tracers has the rhythm of life crashes and missed the beautiful things and littered with individual and national identity and the dispersion of allegiance and became the home does not mean to kill it nothing but the memory of retreating back as if the affiliation and identity may grabed with the dispossession of the homeland and the rape of their land.

مقدمة :

إن من يقرا نصوص فليح الزيدي يجد نفسا مشدودا إلى كلماته ، تتابع خطوات الشخصيات لتعرف مصيرها والى ماذا ستؤول النهايات ، يتوغل في أعماق شرائح المجتمع ليعرف إسرارها ، ويعيش تجربتها ، ليكتب بدراية تامة .

في رواية فاليوم عشرة يتأمل الزيدي في المجتمع العراقي بشرائحه المختلفة وردود أفعاله إزاء احتلال الموصل من قبل التنظيمات الإرهابية ، وتفاوتها تبعا لخلفيات تلك الشخصيات الايدولوجية على الرغم من الانتماء إلى وطن واحد ، تلك الشخصيات التي تحاول ان تبني وطنا وسكنا لها ، وتلك التي لم تفكر إلا في أهدافها الضيقة ، لتقف بالضد من تطلعات المجموعة الأخرى ، بل تحاول محوها من الوجود . شخصيات عاشت الغربة لكنها تشعر بوطنها بذكرياته التي ارتبطت بالألم والحزن والحنين لتنصهر في بودقة واحدة معبرة عن شعور اتجاه وطن ظلم كما ظلموا هم . ولقد سار الزيدي باحداث روايته باتجاهات متوازية بشخصياته ، من دون ان يهمل أي شخصية سواء أكانت في داخل الوطن أم خارجه ، ليبين أفكاره التي يؤمن بها .

هذه الرواية تتحدث عن ما يعنيه المجتمع العراقي من موت وتهجير وتهديد طائفي وشذوذ جنسي وانتشار للمخدرات .ومن ثم أزمة الانتماء .

سلط الروائي الضوء على فئات عديدة للمجتمع العراقي باختلاف مشاربهم ، لينطلق منه في الوصول إلى عقدة الانتماء لوطنهم ، ليستحضر الروائي حالة الشعور بالإحباط والبؤس ، مستخدما لغة مباشرة تجمع الفصحى واللهجة العامية الشعبية ، والألفاظ المتداولة في الطبقات السحيقة من المجتمع ، واصفا تلك الطبقات من سياسية إلى عسكرية إلى مروجي المخدرات إلى المغتربين في أوربا ، ومتتبعا حالاتهم النفسية بعد انهيار الوطن والقيم التي عرف بها . قال "الزيدي"، في تصريح لـ"بوابة الأهرام"، أن "فاليوم عشرة" موضوعها الأساسي هو الأرض العراقية، وموضوعاتها ساخنة كونها تعتمد على أحداث أرض الرافدين المتوالية، حيث تبدأ الرواية بصدمة ملفتة، حيث يتلو خطاب "الخليفة" وهو يرتقي المنبر للخطبة في الموصل بعد احتلالها من قبل الدواعش((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: أيها السيدات والسادة سنُذيع بعد قليل الخطاب التاريخي للرئيس، إلى ذلك نسترعي الانتباه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: إلى المؤمنين كافة.. هلموا للصلاة خفافا إلى جامع النوري الكبير، سيخطب الخليفة – أطال الله في عمره – في الجمع المؤمن بعد قليل))(1) فهو يحدد التاريخ بيوم 2014/6/10 ليجمع بين متناقضين الرئيس الذي لم يصرح به وخليفة المسلمين الذي مثل غطاء للإرهاب ، وأوضح: "تستنبط الرواية من ثيمة احتلال "الموصل" ثيمة واقعية وقعت بالفعل، ولكن الرواية تتخذ مستويات أخرى من أفعال الرواة، فهناك شخوص في الرواية مصابون بداء النكسة، حاولت من خلالهم أن أمسك بتلابيب شخصيات القاع العراقي ما بعد احتلال المدن كثيمة بديلة، ومنهم المسؤول العراقي الذي يتحين الفرص لسرقة خيرات البلاد، والصحفي العراقي العائد الى بغداد في ظروف ملتبسة يغطي لقناة 24 فرانس عن واقع مدينة بغداد ما بعد الاحتلال، ويكتشف كيف أثرت النكسة الجديدة على معظم الشباب ليتعاطوا المنوم.

وأشار "الزيدي"، إلى أن رواية "فاليوم عشرة" لم تكن رواية بوليسية انما أبقت الخيوط الجنائية لزيادة متعة القراءة والترقب حتى الصفحات الاخيرة منها .فالرواية تفكك بنية المجتمع العراقي وتشخص الأخطار التي تواجهه ، وهذه الالتفاتات عرف بها الزيدي في معظم رواياته . وسنقف عند ثيمة الانتماء عن الشخصية تحت إطار النظر إلى الانتماء كـ " اتجاه إيجابي مدعم بالحب، يستشعره الفرد تجاه وطنه، مؤكدًا وجود ارتباط وانتساب نحو هذا الوطن، باعتباره عضوًا فيه، ويشعر نحوه بالفخر والولاء ويعتز بهويته وتوحده معه، ويكون منشغلاً ومهموماً بقضاياه، محافظاً على مصالحه وثرواته، ومراعياً الصالح العام ومشجعاً ومسهماً في الأعمال الجماعية ومتفاعلاً مع الأغلبية، ولا يتخلى عنه حتى وإن اشتدت به الأزمات)"(2)

الشخصيات :

سلام وافي :

إما سلام وافي الأخ الأصغر لعقيد غسان فقد ترك العراق ليعمل في الصحافة((هربتُ من العراق إلى الأردن مع أفواج المهاجرين من الجوع والخوف والقلق والفراغ الهائل وفق وصية لها.. تحققت بواكير غربتي وصدقة خالتي هزيْمة بطشّتها الأخيرة))(3) ، هاجس الانتماء جعله يعود إلى الوطن في خضم أوضاع تداعيات الهزيمة ((انا سلام مُحَّد عبدالله الوافي , أنا الأخ الأصغر للعقيد غسان بطل الانسحاب الأكبر , جئت إلى بغداد في يوم 14 حزيران من عام 2014 بعد خطاب الرئيس بثلاثة أيام , صادف انه يوم سبت , بعد غربة قاسية , مبتعداً عن هموم وطن حبة العدس استمرت لثمانية عشر سنة بالتمام جئت بعد سقوط الموصل ومدن أخرى مباشرة على يد برابرة جدد برابرة يتحركون بريمونت كنترول))(4) مبينا انفصاله عن مدينته بغداد من دون ان يشعر بحنينه لها ، فما تتصف به هذه المدينة من عدوانية جعلت الشخصية لا تشعر بالانتماء لها ،بغداد مدينة غير عادية مقلاة ساخنة يشوى فيها البشر كل يوم بغداد الآن غير بغداد الكتب الصفراء(5) ليكون الانفصال عن هذه المدينة وعدم القدرة على الموازنة بين ماهو راكز في النفوس وما بين الحاضر المؤلم ((تبين ان الوطن ليس الأرض ..كنت واهما كثيراً كندا قدمت لي على طبق من ذهب وطنا بديلاً محاطا بالسلام والأرض والحنان عادت لي إنسانيتي من دون مقابل تغيرت النظريات الحماسية بخصوص فكرة الوطن ارض الآباء والأجداد هو مسقط رأسي (كلاوات عراقية) بمعنى وهم عظيم مثلاً باسمه مات الكثير وسيموت المتبقون أيضا))(6) . الأحوال لم تتغير كثيرا بعد 2003، ألا أن سياسة الاحتلال أسست لمنظومة جعلت الشخصية تستذكر كل هذا الدمار وامتداده لحقب التاريخ السحيق ، ذلك الموت الذي تجسد في ملحمة كلكامش وموت انكيدو ، وكأن الوضع لا يزال كما هو(7) . خوف شخصية سلام من الانتماء للوطن كان متجذرا في شخصية قبل زمن الهزيمة ، فقد كانت أجهزة الدولة في لا النظام السابق تعامل الناس كعبيد وتتحكم بمصائرهم ، مما شكل خوفا عميقا جعله لا يفرقه في مراحله العمرية((تخيفني أيضا قائمة جرد المواطنين واستمارة القسيمة الحزبية والتعداد السكاني وأسئلة مختار المنطقة البوليسية تصيبني برجفة بدنية دائمة، سيطرة الطرق الفجائية بلباس مدني تصيبني بالإسهال الحاد والرعاف.. تجهّمُ وجه المذيع في الساعة الثامنة مساء يربك الحواس. الجدران العالية الملبوخة والأسلاك الشائكة تفقدني السيطرة على التبول الطبيعي، كلمة السلام عليكم من الغرباء تصيبني بداء ثول خرفان الفواتح الخاص..هويتك أخي، تحيلني إلى حالة إغماء كبرى، هربت.. نعم هربتُ بالروح العزيزة.))(8) مما جعل البطل في الرواية مشتت بين هويتين ، هوية وطن الولادة والنشأة وهوية الوطن البديل ،مما جعله يعيش شخصية مزدوجة ((نحن سلامان في جسد متهالك، الأول هو الوافي يريد الإيفاء في هذا النهار بالتزامات عملية والثاني يحمل الاسم نفسه، يغري الأول في النوم بحكمة "ابيقراطية" قديمة عنوانها "الكسل هواية ".. طيلة اليوم يتخاصمان على مساحة الجسد،

الآن يحاول النصف الكسول العودة للنوم مجددا بتناوله القرص النهاري الجديد من شريط حبوب "فيلكا"، فيجرّه الأول من أذنه إلى الحمام بقوة))(9) . وهو يؤكد على هذه الثيمة والصراع بين شخصيتين((أأنا مقرف إلى هذه الدرجة؟؟ نسخة منّي تركتها في البيت والأخرى تتجول دون إرادتي في الشوارع، ترى متى نتصالح؟ أو متى يقتل الثاني الأول فيّ، أو يغدر الأول بالثاني أثناء النوم مثلا؟ تلك أسئلتي المضطربة، وأنتظر القدر المخمور ليجيب عليها.)) (10).

إن الانتماء إلى دولة أخرى حتى وان أعطته ما يحتاجه فهو يظل يحن إلى جذوره ووطنه ، وبذلك يشعر الفرد – رغم اندغامه في جماعة – بانه مقطوع الجذور ، وعندما يكون الفرد بلا جماعة يكون بلا حماية ، بلا امن ، ولذلك يعيش حالة من الاغتراب . ((لم أكن مريضا نفسيا كما قيل عنّي كثيرا، ولم أعش يوما في حالة ذهان سلوكي حاد مثلما يتقوّل عنّي أطباء آخر زمن. كل ما في الأمر أني غير متوائم مع المحيط الخارجي، هذا باختصار شديد هو تقريري عن نفسي. عندما يتوفر لي الظرف الطبيعي سأكون حتما سويا مثل خلق الله. هذا والسلام)).(11) فهو يعيش ((كحيوان منشطر الذنب بهوية مزدوجة عراقية/ كندية.. سلام الاسم لا يطابق الواقع.. حيث لم يبق من اسمي سوى حروفه المتنافرة، ولم أذق طعم "السلام" مطلقا))(12) فتنشأ عند ذلك هوية منشطرة للفرد إذْ يكون بين حالتين الحنين الهوسي إلى المكان الأول وعدم القدرة للعودة أليه .(13)

((مصيبة كبرى كلما حاولت نسيان العراق يبرز بكل تعقيداته مثل الشبح المخيف منتصبا كديناصور أمامي في المنام والصحو)).(14) لتكون فلسفته في الحياة العيش بأكثر من هوية على أساس المصالح الضيقة ((لا مكان لامرئ في هوية مغلقة ولا في هوية متوهمة , ولا يمكن ان يكون بلا هوية , يحتاج المرء إلى هوية مفتوحة هي مزيج من هويات موروثة ومستحدثة هوية قابلة للتحول بتحول الاحداث والزمان)) (15) . فقد قطع علاقته بمجتمعه وأرضه ليستبدل بها أرضا جديدة يجد فيها الأمن والطمأنينة ، والمجتمع الجديد الذي ينتمي إليه هو مجتمع أوربي ، وهو مجتمع يمتاز بصفات افتقدها في مجتمعه العراقي.

إن اختيار شخصية سلام وافي كستار ليختفي خلفه الزيدي كان موفقا إلى ابعد الحدود ، لان هذه الشخصية قد تركت العراق منذ أمد بعيد مما يجعلها محايدة في الحكم على ما يدور في البلد من احداث ، لينقل لنا الواقع العراقي ووجهات النظر ، فضلا عن آراء السياسيين في دفة الحكم ، ومن يلتقي بهم في مهمة تسجيله لفلم وثائقي لوكالة الأنباء الفرنسية .

العقيد غسان :

إن العقيد غسان الضابط في الجيش العراقي والذي عاش سقوط الموصل مثل إيقونة الانتماء ، الانتماء الذي لم يؤدي إلا موت أصحابه بشكل جماعي من خلال منظمة كفى والتي وفرّها السلطات لتقتل الشعب باختيار

شخصي ، فهو شخصية مناقضة لشخصية الأخ سلام وافي((فالعقيد يمثل لي رمزاً لعراقيتي المهدورة التي بددتها السلطات المتعاقبة والمنتهكة من الآخرين خاصة عندما غداً البلد مجرد خريطة تقرض فيها الفئران لتكون كحبة عدس شاحبة)) (16) .

العقيد غسان الذي أصيب بصدمة نفسه بعد سقوط الموصل مما أدى به إلى اعتزال الناس في صمت مطبق . ولنا هنا ان نعرف ما الذي حدث؟ حين ننظر إلى العنوان أولى العتبات التي تواجه المتلقي قبل الولوج إلى مساحة المتن، وهو الأهم من بينها لما يحمله من وظيفة سيميائية تدل على المحتوى. يتبادر إلى ذهننا لماذا الفاليوم.. ولماذا العشرة تحديدا؟.

تجيبنا على هذا السؤال ثاني العتبات النصية بعد العنوان حيث نصطدم بجملة تحرر العنوان من كثافته المعنوية وتبرر لنا اختيار الجنون بديلا عن العقل إذا ما سرنا في شوارع بغداد((من العقل أن أصبح مجنوناً وأنا أسير في شوراع بغداد الآن))(17)

ومع بداية الفصل الأول من الرواية نلتمس التحليل الرمزي لدلالة الرقم عشرة حيث يطالعنا زمن الفصل بتاريخ 2014/6/10. وهو اليوم الذي سقطت فيه الموصل ومسحت من خارطة العراق، ما يفسر لنا حالة الهلوسة التي أصابت البلد برمته بما فيه العقيد غسان، وهو آخر المنسحبين من الموصل بعد الهزيمة الحزيرانية . ينظر : شبكة المعلومات الدولية . فالعقيد غسان الذي يمثل الانضباط العسكري العراقي وما يحمله من حب لبلده تمثل في كونه آخر المنسحبين من الموصل بعد سقوطها بيد الدواعش ((ترك المدينة بسهلها المنبسط العريض وصوبيها الأيمن والأيسر،كلها الآن خلف ظهره ومن دون وداع يليق به ، خلع ملابسه العسكرية كلها مضطرا ومختنقا بالعبَرات، استلّ النسر الذهبي من"بيريته " وشدّه بقيطان بسطاله الصحراوي ووضع تحت إبطه الأيمن))(18) ، ومن ثم إصابته بمرض (("متلازمة الهزيمة" يسمونها Syndrome military. هذه المتلازمة تتكرر عليّ يوميا هنا في العيادة وخاصة بعد خوض المعارك والهزائم الحربية المستمرة))(19) هذا العقيد الذي لاذ بالصمت ينتهي به المطاف ليحمل الرقم عشرة في الانتحار الجماعي الذي تقوده منظمة (كفى) تلك المنظمة السرية التي ضاقت بالفساد والفوضى في المجتمع العراقي ، والذي ساهمت فيه الحكومة و دفعت الناس إلى الانتحار ومباركته (د. ناعم) ، قال المنتحر العاشر- العقيد غسان - في التعريف بعد أن خلع النقاب عن وجهه((أتقدم بالشكر لرابطة كفى، لتوفيرهم الأجواء المريحة لتعبيد الطريق نحو الموت المُختار، أتقدم مرة ثانية بالشكر لأخي المغترب الذي أعادني إلى حالتي الطبيعية لأختار طريقي الصحيح.. أهدي هذا النسر إليه.. أنه نسر الجمهورية هدية مني له، وأخبره إنهم يرفضون عودتي إلى قيادة قوة الفوج، بحجة عدم سلامتي النفسية.. شكرا لرابطة كفى، أهلا بالموت الجماعي وتعسا لحياة الهزيمة))(20) لقد مثلت شخصية غسان حالة الانشطار التي تعيشها الشخصية العراقية

فهو يمثل الشخص العراقي بكل حبه لوطنه يمثل العراقية بكل تجلياتها ، ولكنه يعيش حالة الانكسار والعجز بعد سقوط الموصل وعدم قدرته على معالجة الوضع كضابط عسكري عرف الالتزام ، ليعيش الصدمة بين ذات عاجزة ووضع سياسي فاسد وغريب لايمكن ان تستوعب احداثه . ان الهزيمة الكبيرة التي أدت إلى انهيار البلد وتداعيات هذا الانهيار جعل من العقيد غسان يعيش حالة من الانفصال عن المجتمع ، فهو عاش تداعيات الانهيار ، وحين تكون متنميا وعاشقا لوطنك يكون تلقيك لتلك الصدمات مؤلما لدرجة يجعلك أنسانا لا منتميا .((إنه تعيس حقا. لم يقلْ شيئا.. فقط غلّف نفسه بطبقة من صمت فولاذي إلى الأبد ونام. نام مثلي، حتى لا تفضح عيناه الأسرار التي حملها عن هزيمته المريرة.)) (21) وهذا ما أكدته زوجة العقيد في شاهدتها ، وكيف ان الحرب وصدمتها قد مسخته وعادت تشكيله شخصية مغايرة ليعيش حالة الانفصال عن المكان ، ليعيش شخصية البطل المهزوم ولامنتمي .((قالت لي زوجته: "عندما عاد من الموصل بعد ثلاثة أيام من سقوطها، كان منهكا وشبه الميت، وضع رأسه على المخدّة ونام لثلاثة أيام متتالية، وعندما استيقظ في اليوم الرابع جلس قرب النافذة يتأمل الشارع، ومن تلك اللحظة قطع الكلام تدريجيا، بعد أن خاط فمه وصام عن الكلام، حتى أصبح على هذه الحالة".))(22) ان شخصية العقيد غسان وجدت نفسها في حالة انهزامية لم تعرفها من قبل بهذه الصورة ، وان عاشت قبلها حالات متشابهة في حرب إيران أو حرب الخليج ، إلا ان هذه الانهزامية جاءت من الداخل ، حيث تركه الأخوة في مواجهة مصيره حيث الخذلان والانكسار . لتعيش الشخصية حالة التأرجح بين حب الوطن من جهة ورفض ذلك الوطن لأبنائه فـ((غسان نموذج فريد ومختلف في حبه المثالي للعراق بطريقته الكلاسيكية التي جلبت له الويلات، قيمه البالية ما زال مصرا عليها، أتصوره النموذج البائد الذي يصلح للمتاحف أكثر من العيش في بغداد تحت هذه الظروف، لكني بالمقابل أحترم وجهة نظره التي تمنيتها لنفسي))(23)

فشخصية العقيد غسان شخصية عسكرية عشقت الوطن بتفان منقطع النظير ، كان ملتزما بتعاليم العسكرية بكل تفاصيلها ، إلا ان الهزيمة المفاجأة في مدينة الموصل جعله يعيش حالة من الغياب عن الوجود ومن ثم تأرجح بين الانتماء والانعتاق ، الانتماء لوطن منحه كل شيء والانعتاق عنه وعن المجتمع بعد الهزيمة التي هزت كيانه وانتجت انسانا لا منتميا ، وعلى الرغم من محاولة العودة له الا انه فشل في ذلك، وهذا التعلق بالوطن كانت نتيجة الموت انتحارا ، بمساعدة من سبب تلك الهزيمة ، وكأنهم يدفعون العراقي إلى ذلك عمدا .

شخصيات أخرى :

وتضم الرواية شخصيات أخرى كثيرة جاءت كعنوانات فرعية في الرواية معرفا بها ، والمضي قدما في أحداث الرواية في زمن متكسر ينتقل بين ماض وحاضر ، فحين يبدأ بذكر عنوان يكمل بعده الأحداث ويعرج على

التعريف بالشخصية وغالباً ما يكون عن طريق الوصف ونلحظ بعض العنوانات جاءت لاماكن في بغداد وبيروت، وبعض هذه الشخصيات جاءت عرضا بشكل موجز لتغطية حدث ما وسد ثغراته . وهذه العنوانات هي على توالي : لعبة الرئيس المفضلة سلام /2، اليوم 2014/8/1،خالتي هزيمة (أول من أمس)، سليمة حنظل (أمس بعيد)،أصيل (اليوم)،سالي (أمس)، العقيد غسان ، أبو العوف (حاليا)،السيد المستشار، هاتف الصراف، المندائية (أول أمس)،الحاج(يوم جديد من آب)،هوبي (25 آب)،الدكتور سامان فريد (في اليوم نفسه)، د. ناعم جدا (27 آب)

نادية الحلي (صباح يوم 28 آب)، زعيم (8 أيلول)،حيدر دبل (10 أيلول)،تشارلز برنس (12 أيلول)،أم مُحَمَّد (6 تشرين الأول)،دكتور لويس (14 تشرين الأول ، بيروت)،ملاك (21تشرين أول بيروت)،الكلب المبلّل توفي (25 تشرين الأول بيروت)،جزرة جاد الله (30 تشرين أول)،نظير الملا عن العشرة الموعودة (22تشرين الثاني : الورقة الأخيرة) وسأقف عن بعض هذه الشخصيات الثانوية :

الشخصيات السياسية:

الدكتور ناعم :

اما شخصية (الدكتور ناعم) فعلى الرغم مما يحمله الاسم من معاني الرقة واللين ، وهذا ما بدت عليه الشخصية في ظهورها الأول ،((فهو رجل تقي ومن أهل الدعوة ورجل أعمال من الطراز الأول، ثانيا هو رجل حافظ للسر ولا يمكن أن يضحّي بسمعته الطيبة من أجل مبالغ تافهة تأتي من القرص، حتى وإن كانت بضعة مليارات تافهة من الدولارات لا يمكن أن يساوم أو يهادن على تاريخه الجهادي)) (24) وهو ((محسوب على جهة إسلامية متنفّذة بصناعة القرار والحكم، وقد لعب على أكثر من خيار بين الأحزاب)) (25) إلا انه في حقيقته يحمل وجهاً آخر مثل التلون لأصحاب السلطة والذين يشاركون في تدمير البلد بشكل أو آخر ،فهو ((مجرم وفاسد بحق البشرية يا سلام.. ليس له علاقة في الدين سوى مظهره وطريقة كلامه وسياسته الخبيثة، فعلا هو ذئب متوحش متنكر بلباس الدين والبراءة، يعمل في حقل محفوف بالمخاطر من حقول السياسة والاقتصاد العراقيين)) (26) ص. ولعل هذه الشخصية كما يتضح ظهورها في حكاية (القرص جيم) من مبنى رئاسة الوزراء بالاتفاق بين أصيل الشاب المسيحي الذي كان يبيع الشاي في كافتريا تابعة لمكتب رئاسة الوزراء والتقائه بسلام الوافي,وهاتف الصراف الشاذ الذي يعمل مع الوكالة الفرنسية ذاتها ،هذه الشخصية مثلت رمزا سياسيا فاسدا يعكس فساد السلطة في العراق ، هذا القرص يحتوي على معلومات مهمة تخص قضايا مالية سياسية عراقية، حيث بدأت المفاوضات التي عقدت بين الدكتور ناعم والإطراف الثلاثة الأخرى ، التي كشفت الولاء المضطرب والهوية المضطربة التي شتت الإفراد بين انتماءات وولاءات فكل من سلام الوافي وأصيل وهاتف الصراف بحثوا عن

مكافأة مالية بسبب المعلومات الموجودة على القرص فشعارات الوطنية ما عاد لها وجود في المشهد الثقافي العراقي يقول سلام الوافي في ذلك :((اعتبرت القرص جيم فرصة ذهبية كانت ضائعة فوجدتها لاسترد حقي المستلب في هذا البلد اخذ مني الكثير وأعطيته لب العمر , مؤملاً نفسي بالثروة وحالما بتحقيق الطموحات المؤجلة المبالغ التي استطيع فيها علاج أخي غسان الذي أعطى أيضاً للوطن المستلب أكثر مما طلب الوطن منه. أكثر من حق مهدور لضريبة الأرض واستحقاقها عليه))(27).فكل من لاطراف يحاول ان يأخذ نصيبه ، وكأن الوطن قد تحول إلى غنيمة يتقاسمها الإفراد وكل يجد مبرره لذلك ((إن دكتور ناعم وبعد أسبوع فقط لم يعد إلى بغداد كما كان يعلن ويصرح للمقربين منه، بل سافر إلى عدة دول أجنبية بإيفاد رسمي من الحكومة العراقية، ومن ذات المصدر علمت أنه عقد عدة جولات من التفاوض ومع جهات نافذة في مصارف عالمية للمتاجرة بالقرص جيم بطريقة احترافية)) (28) وهو يمثل الفساد الآخر لحكومة أضاعت الأرض والأموال . لنعيش حالة الفقدان المزدوج من الداخل المتمثل بفقدان الإدارة الناجحة من السلطة وضياع الأموال ، ومن الخارج متمثلا بدخول المجاميع الإرهابية . وقطعا أن ضياع المؤسسة الراعية للشعب يؤدي إلى ضياعه واتجاهه نحو العبث لتعيش الشخصيات حالة الانكسار فسلام الوافي مدمن للأقراص وأبو العوف يبيعها لكل أفراد الشعب المخدرة وعقيد غسان يلجأ للانتحار انها حالة من الانسحاق التام والشعور بعدم الانتماء. ولا تكاد تختلف شخصية هاتف الصراف عن بقية الشخصيات السياسية الانتهازية ((ترك هاتف مدينة بغداد منذ عام 1978 وتنقل في بلدان الله الكثيرة. عمل مع "المعارضة العراقية الإسلامية" ردحا من الزمن، ثم انفصل عنها بقناعته كما أخبرني عندما وجد أن هذه المعارضة بشكل عام الإسلامية منها والعلمانية كلها لها مصالح شخصية تعمل على خدمتها وتحقيقها، كانت تعارض ذواتها أكثر من معارضة النظام القديم، حيث كان الانضمام للمعارضة آنذاك يوفر الحماية الكافية والحياة الرغيدة، للتخلص من أعباء الحياة المادية ومركبات النقص التي تغلّف معظم شخوصها، أخبرني: ''هم ليسوا ملائكة لكن بعضهم مجموعة شياطين، يعرفون من أين يدخلون ومن أين يتبخرون في اللحظات الحاسمة"))(29) . فهو شخصية لا تمتلك أي وازع انتمائي وانما يتحول انتمائه إلى حيث تتحول نوازعه الشخصية ((ثمة تحوّل حدث في حياة الصراف وتحوّله من شخصية إسلامية إلى شخصية برغماتية عملية.. شخصية غير مؤمنه وناسفة بإرادة ووعي لخزان الذاكرة، إلا بمعطيات الحياة العصرية ومصالحه الشخصية. كما أخبرني أنه ترك الإيمان والإلحاد خلف ظهره، وراح يعيش لحظته دون الالتفات للماضي البغيض. خاصة بعد تبّنيه رسميا العمل على التنسيق بين المثليين العرب في الشرق الأوسط كله.))(30) فهي شخصيات تجيد التلون والتغير مع الظروف ((قام بقص الشعر الأشقر الطويل كليا، كانت لحيته الشقراء مشذّبة بعناية، وبدلته الرمادية رسمية جدا ومن دون ربطة عنق. وقد غادرته مسحة الأنوثة والغنج التي كان عليهما في باريس))(31) فحين تكون الفوضى السياسة في بلد كما

العراق ، يظهر أصحاب السياسة ذات الألوان المتغيرة ، حيث يميلون مع الرياح بين الإسلامي والمدني ، فهم يخدعون الناس بتصرفات تتجه إلى الدين أحيانا ، والى الوطنية أحيانا أخرى ، وتارة بحجة الانتماء ، وهذا ما لمسناه في شخصيات دكتور ناعم وهاتف الصراف . انهم يمثلون ازمة الانتماء واضطرابه .

العائلة المسيحية :

في الرواية عائلة تنتمي للديانة المسيحية ،تلك الديانة التي لاقت الويلات في مختلف الأزمان والأوقات ، تتكون من الأم سليمة التي فقدت زوجها في زمن النظام السابق في عملية خطف من قبل احد ضباط الاستخبارات بعد ان راودها عن نفسها ، ولم تجد امامها إلا طريق الهجرة مع ابنتها التي تحملها في بطنها وابنها الذي اضطرت لتركه مع عائلة مسلمة ، سليمة تحمل تطابقا مع اسمها ((تعرّفتُ على سليمة حنظل في كندا، بغداديّة أصيلة مهاجرة كطير يتيم تاه عن سرب طيور البرية الرشيقة من بقعة العدس المنحوس إلى أقصى العالم)) (32) لتبدأ رحلتها في قطر ، وفي أول رحلتها فقدت الانتماء قسرا ((المفارقة المضحكة/المبكية أنها حصلتْ على وظيفة كمعلمة تربية إسلامية في مدرسة خاصة للوافدين إلى قطر من المسلمين. تلك المفارقة الغريبة جعلتها تخفي كونها من الطائفة المندائية.. ارتدت الحجاب والعباءة الإسلامية وحاولت حفظ بعض الآيات والأحاديث النبوية وطرائق العبادات وأركان الإسلام)) (33) ليكون النجاح حليفها في مهمتها لا لشيء وانما لجدتها وحرصها على اداء ما يوكل إليها بجد ، ولكنها لم تكن على قناعة تامة بانتمائها الجديد فهي مؤمنة بما تحمل من ديانة ، شكلت يوما ما جزءا من نسيج المجتمع العراقي ((تظاهرت بإسلامي وإشهاره، بل درّسته في مدارس إسلامية واجتهدت فيه، تحجّبت وصليت، وعلّمت الصغار أركان دينهم في الصلاة والحج والزكاة، لكن في داخلي إنسانة أخرى تنتمي لجذورها الأولى قريبا من ماء النهر.. مع العلم ليس في قطر أنهار جارية سوى البحر، وديانتي توجب التبرك في القرب من النهر.. كنت أشعر بالذنب وتأنيب الضمير من ترك ديانتي الأولى.))(34) فمن خلال سلوك الشخصية سليمة ومع إسلامها اضطرارا من اجل كسب الانتماء لمجتمع مغاير لها في ديانتها ، إلا انها لا يمكنها الانقطاع عن ماضيها ، ولهذا حدث تعارض بين قديمها الموروث وجديدها المكتسب ، عبرت عنه من خلال حنينها إلى طقوسها القديمة ((في الصالة كان شعار المندائية، عبارة عن تقاطع العمودين على هيئة الصليب المحمول على عارضته بملابسه البيض، وفي منتصفه ثمة نبتة خضراء ترقد بسلام، كان الشعار منصوبا على رف مخصص له بعناية للفت النظر، تيقنت تماما من عقيدتها وإيمانها بتلك الديانة، وعلى طاولة بنية وضعت كتابها المقدس بعنوان مذّهب (كنزا ربا) وتحته عنوان فرعي كتاب أنبياء الصابئة الناصورائيين، كلام الرب ووصايا الموحى لهم لصحف النبي آدم ومن بعده يحيى. ثمة شعارات أخرى في لوحات معلقة متناسقة تفي بالغرض لمعرفة مدى تشبّعها وتمسكها بمعتقدها. لا أعرف عن معتقدها الكثير سوى جذرها السومري.))(35). فهي تؤكد الالتزام

لديانتها وماتحمله من طقوس،،وما فيها من رموز السلام والخصب والنماء ، وفضلا عن هذا الانتماء الجزئي للمسيحية فانها تنتمي إلى العراق بجذورها السومرية . فسليمة تشعر بإحساس مرير بواقع الانفصال على المجتمع العراقي وشكوى صارخة من هوان منزلتها الاجتماعية ، وعدم تقدير المجتمع لشريحة المسيحيين وهذا – ولا شك – عاملا حقيقيا وراء رحيلهم وهجرتهم ، ففقدوا توافقهم الاجتماعي ، وان فقدان هذا التوازن ينتهي بالفرد عادة إلى ان تكون صلته بمجتمعه قائمة على أساس ما يسميه بـ (السلوك الصراعي) أو الهروب عن المواجهة لتحقيق التوازن . هذه المواجهة التي تمثلت بشخصية ابنها أصيل الذي تركته في العراق في كنف عائلة مسلمة ورفضه الهجرة إلى كندا برفقة سلام بعد ان عرف بقصة أمه وتركها العراق بسبب ظروف القهر والتسلط التي تعرضت إليها ، مؤكدة من طرف خفي هذا الترابط بين أطياف المجتمع العراقي ((شاب عشريني حلو الطلّة بملامح رجولية ورشاقة شبابية، وأناقة عصرية رائعة، ورغم تكرّر اللقاءات معه يرفض بقوّة طلبي منه الهجرة إلى كندا ولقاء أمه)) (36) ولم يكن هذا الحب والانتماء نتيجة لبقاء أصيل في الوطن ، حتى أخته سالي وان كانت قد ولدت في كندا إلا انها كانت ترتبط روحيا بالعراق وبغداد تحديدا ((سمعت كثيرا عنها كمدينة ساحرة من الشرق وعن نهر دجلة وعن بشرها الطيبين. الف ليلة وليلة وعلي بابا والأربعين حرامي، ثم أنني هنا ليست لي صداقات حقيقية))(37) إن إهمال أو تهميش الهويات الفرعية جعل منها عامل إلغاء للمواطنة وبالتالي أصبحت هذه الهويات تشكل ثقوباً بنيوية في النسيج الوطني تتسلل منها عوامل التشرذم وأمراض الفرقة وتجزئة الوطن، فتحولت هذه الثقوب إلى مزامير ينفخ فيها العاملون على بناء مصالحهم وتطبيق برنامجهم التقسيمي للوطن من خلال استغلالهم لهذه الإعطاب التي تصيب الهوية الوطنية. (38) .

وقد تجسد الانتماء في موقف جعل العراقيين يقفون الى بعض ، فكل الشخصيات كانت تساعد الأخرى بشكل أو بآخر ،ولعل يد المساعدة التي قدمها سلام وافي لأصيل ومحاولته جمع شمل العائلة المسيحية ماهو الا تأكيد لهذا الانتماء على الرغم من المخاطرة في بحر بغداد العميق (39). ،ان هذه العائلة على الرغم من انتمائها وحبها للعراق الا انها لاقت الويلات من قبل المجتمع في نظامه السابق والمجاميع الارهابية في الوقت الحالي . ومن ثم حالة من التشظي في الاسرة وفي الهوية والانتماء ،الى درجة تغيير الاعتقاد الديني من اجل الحصول على الانتماء ، ان الرحلة نحو الخارج في محاولة لترميم الذات المتشظية جعلها تتوق مرة أخرى لرأب الصدع في العائلة ومحاولة جمعهم في وطن واحد بعيدا عن الخوف والقمع . من دون التخلي عن تراثها المسيحي.

الغجر :

في وقت تعرض فيه الوطن الى انتكاسة خطيرة جعلت أمنه مهددا من قبل جماعات لا تعرف الرحمة ، في داخل فوضى سياسية وأمنية وقتل وتهجير . طال إلى جانب الطوائف الدينية مجاميع أخرى كانت تشكل جزءا من

النسيج العراقي ، ومنها ما يعرفون بالغجر تلك المجاميع التي ارتبطت في الذهنية العراقية بالرقص والغناء، ومن هذه الشخصيات في النص الروائي شخصية (هوبي) الذي اجري معه الصحفي سلام وافي لقاء للحديث عن هذه الشريحة من المجتمع ((اسمي هوبي. غجري عراقي ضائع، انتقلنا من صحراء السماوة إلى أطراف بغداد بعد تغيير نظام صدام "رحمة الله على روحه"، لقد وفّر لنا الحماية الكاملة، الجماعة الله يحفظهم ويطيل قضبانهم قصفونا بالهاونات كقصفهم للعدو، يقولون عنّا أننا أولاد زنا))(40) ليبين حالة الفوضى التي أصابت حياتهم بعد تغير النظام ، وحالة الرفض من قبل المجتمع ، على الرغم من شعورهم بالانتماء، لقد حاول الغجري ان يعمل على الانغماس في المجتمع ، لكن نظرة المجتمع لم تجعله يشعر بهذه التضحية ، فهو اقل مرتبة من غيره ، ومن ثم شعوره بالاقصاء والتهميش .((عندنا هويات مختومة، خدمنا بالعسكرية ووهبنا الوطن شهداء ضريبة مدفوعة نقدا في الدم. في هذا المكان البعيد تعرضنا إلى صولة من أولاد الحرام أكثر من مرة. أين نذهب؟ هذا بلدنا منذ آلاف السنين، أنا عراقي أبا عن جد. أين أذهب؟))(41) فالغجر لم يتمكنوا من تحديد انتمائهم على الرغم من انهم قد قدموا لهذا الوطن الكثير ، إلا ان تلك النظرة القاصرة في مجتمع يلجأ إليهم في أوقات ويرفضهم في أوقات أخرى ، فوجدوا انفسهم منبوذين ، لا يعترف بهم المجتمع ، مما جعلهم يشعرون بالحزن والألم ، والعيش بحثا عن الانتماء المفقود . فكانوا مهمشين في مجتمع اتصف بالقسوة والظلم .

أبو العوف :

اما شخصية أبو العوف بائع الاقراص المخدرة فهو((شخص غريب التصرفات والأطوار حقا، قصير القامة جدا كقزم مخذول، مهلوس الشعر يغطي الوشم ذراعيه، الندوب والكدمات تزخرف مناطق واسعة من جسمه الضئيل، يذكرني بدمية ابني سراج. تندمل الجروح الغائرة في وجهه وتترك آثارا لخريطة ما يستدل فيها على الزمن الرديء، يتاجر في أشرطة الأقراص المنوّمة والمهلوسة والمخدرة كلا في صنفه وحالته ووفق تشخيصه، ويعتبر نفسه الموزع الرئيس في بغداد والمحافظات، عندما قلت مستفزا له:

فقدنا الموصل يا صديقي قال كلمته الشهيرة:

عادي جدا في العراق الجديد.. أن تفقد أفضل من أن تكتسب. أنت في بغداد يا صديقي.))(42)

شخصية تعاني فقدان الانتماء النسبي هذا الانتماء الذي يعتز به العربي ويقدسه ، فهو من أهم سمات العرب ، إلا ان شخصية (ابو العوف) عانت من هذا الضياع لتعبر الشخصية عن خيبة أملها ونظرة المجتمع الدونية لها ، لتقارن بين ضياع الموصل وعدم انتمائها إلى العراق وبين ضياعها وفقدانها الانتماء للأب ((أنت تعاني من ضياع الموصل وأنا أعاني من ضياع نسبي)) (43).

إن الشخصية عاشت حالة انفصال في طفولة ولم تجد الانتماء الأسري ، مما انعكس سلبا في الشعور بالانتماء للوطن ، أب غير معروف ونسب مغموز ، مما جعله يعيش الانفصال في مجتمع قاس لا يوفر إلا عوامل الرفض والقسوة ، ولم يكن البديل إلا حالة من الهروب ، في غيبوبة تعيشها معظم الشخصيات في الرواية عن طريق الحبوب المخدرة ، لتنقل الشخصيات ولو بشكل مؤقت إلى الراحة المنشودة ، التي سرعان ماتنتهي لتبدأ رحلة البحث عنها ، رحلة لا نهاية لها . لذا يوجه اللوم والعتاب إلى أمه بقسوة التي أورثته هذا الانفصال ((تزوّجت حتى "واحد باكستاني".. تزوجته ثم عافته لتلحقه بزوج هندي تتطاير منه رائحة التوابل الهندية، وربما لي أخوة في كل أرجاء العالم من دون علمي. هي الآن عمياء تكفّر عن ذنوبها القومية والعالمية بالصلاة المستمرة. لا ألتقي بها مطلقا فهي لم تحدد لي من هو أبي بالضبط. وبالحقيقة أخجل من تاريخي المشوّه كلما شاهدتها.)) (44).

انه سؤال الانتماء الذي يلازمه ، من هي أمه ؟ ومن هو أبوه ؟ ليكون الصراع والتصادم مع المجتمع الذي يرفض ان يحتضن أبنائه وينظر إليهم بنظرة دونية قائمة على أساس النسب والعرق واللون . فهو صنيعة مجتمع قاس لا يرحم ((أبو العوف هذا ليس بعثيا أو شيوعياً أو إسلاميا هو خلطة سحرية عجيبة لشخصية افرزها الواقع ما بعد الموصل والهزيمة سحنته لعنة الحياة العراقية بكل صلفها وأنتجت لنا هذا الرمة)) (45).

ولعل ما يربط شخصيات الانتماء والانعتاق هو حبوب الهلوسة التي تنسي المغترب الحنين إلى الوطن ، وتنسي من هو داخل الوطن الانتكاسات المتكررة فهي ((تنسي متناولها مدن النكبة في الموصل وبغداد والبصرة)) (46)0 لذا نلحظ ان الشخصيات عاشت الادمان في جلها ،مثل شخصية هاتف الصراف (47) وشخصية جاد الله الكندي من أصول صومالية يقضي أغلب أوقاته في النوم ، الوحشة قاتله وعلاجها حسب علمي هو النوم الطويل ... لا تنس .. النوم الطويل هو الحل .(48) لتجنب هول الصدمة التي يعيشها الشعب العراقي منذ الأزل فـ ((نحن باختصار شعب الله المهمش لكل أنواع المآسي منذ انكيدو ليومنا هذا , حروب واحتلالات وقتل جماعي ومجاعات وحصارات وفقدانات , كل شيء وحسب ما تشتهي النفس من الضيم)) (49) فلم يكن أمام الشخصيات إلا حلين لا ثالث لهما على حد تعبير أحدى الشخصيات ((اذا أردت اعتياد الوضع هنا اما ان تبلع اوتشلع))(50) وهذا ماجسدته لوحة الغلاف بشكل جلي وواضح بخلفيتها السوداء التي غطت كل الغلاف تشير إلى حالة التشاؤم والسوداوية في النظر إلى ما آلت إليه الأوضاع بعد سقوط والموصل بيد داعش ، هذا الانهيار السريع في الجسد العراقي ، وما صاحبه من انهيار في بنية المجتمع ، وهول الصدمة التي جعلت الدولة العراقية في حالة من الذهول وعدم استيعاب الموقف ، مما أدى إلى انهيار المنظومة الأمنية ووصول تلك المجاميع إلى أطراف بغداد . فاللون الأسود يعبر عن الحزن الشديد والموت الأبدي والقلق والخيبة والفناء والأخفاق .(51) وهذا ما جسدته أحداث الرواية اذ شاع الحزن والألم في كل مفاصلها . وفي وسط هذا السواد تمتد يد إنسان وهي

في حالة من العطاء تحمل ثلاثة أقراص من أقراص فاليوم 10ذات اللون الأزرق ، بدت اليد وكأنها مبتورة عن باقي الجسد ، أو بالأحرى في حالة من الخفاء ، لان تداول تلك الأقراص لم يكن يجري ولحد الآن إلا في حالة من السرية والخفاء بعيداً عن الرقيب ، وحين نقرأ نص الرواية نلحظ أننا امام صيدلاني يجيد وصف تلك الأقراص المخدرة ، يقول على لسان أبو العوف الممول الرئيس لتلك الخلطات ((حبيبي هذه مجموعة أقراص (أنتي – هيستامين) هذه تعمل بعد مرور بضع دقائق، عملها كعمل شرطي المرور، أولا يكون البالع جاهزا للتنازل عن كبرياء شخصيته، ثم تشخص حالته ليعطى الكبسة المخلوطة مع الشاي المُحلّى، لكنها ليست من النوع الاحترافي. هذا النوع الجديد لم يثبت كونه – رجسا من عمل الشيطان– فهو معمول من أعشاب نباتية، ولا من الأحوط تجنبها– هذا ما توصّل إليه (الجماعة) كعلاج شرعي لتحمّل العيش الواجب في بغداد اليوم)) (52) ص وفي مكان آخر يعدد تلك الأنواع بشكل أكثر تفصيلاً((وضع تسميات شعبية لأشرطة الهلوسة وفق مزاجه حبة الشبح/ الدموي/أم الحاجب/ النشوة/أم الصليب/أم الطرّة والسماوية والخاكية والمغاوير.. معظمها ينتمي لمجموعة الترامودول الخاصة و LSD المهلوسة. حبوب شتى أكثر من خمسين نوعا حديثا تنهال على بغداد من أصقاع العالم الصناعي، هي أكثر فتكا ومخصّصة للنوم الطويل من مجموعة سومادريل "وزاناكس وريفو تريل" وكل نوع له موجة تأثير في فنتازيا السلوكيات الطارئة والمصاحبة لحدّة النشوة وكلها في جيوبه أو على خشبة العرض أمامه.. نشوة خالصة تجعل بلاّعها يضحك بهستيريا قبل النوم.. لها قدرة تضخيم الشخصيات والموجودات بشكل كاريكتوري مذهل، تنسي متناولها مدن النكبة في الموصل وبغداد والبصرة كما يقول. "أبو العوف")) (53) ـ وكما اعتدنا في روايات الزيدي التي في كل مرة يدق فيها ناقوس الخطر لما يجتاح المجتمع من مخاطر ، تقع في مقدمتها ما اجتاح المجتمع من أنواع المخدرات متمثلة بالأقراص المخدرة ليجعل من الشخصية العراقية شخصية هشة انهزامية . اما لون الأقراص الأزرق فهو لون الهدوء والسكينة للدماغ، فهو عادة ما يوصف بلون السِلم، الأمن، الطمأنينة والهدوء.وهو لون الحزن والعزلة إذا أخذنا بعين الاعتبار لوحات بيكاسو المثقلة باللون الأزرق والتي رسمها في " المرحلة الزرقاء"فقد كانت كل رسوماته فيها باللون الأزرق توحي بالحزن، والعزلة، واليأس.

وهذا ما حققته تلك الأقراص بلونها الأزرق فهي تحمل الهدوء والسكينة من جهة والعزلة والحزن من جهة أخرى . بعد الهزائم التي تعرض إليها العراق . فكان النوم الحل الوحيد لتلك الهزائم ((النوم فقط هو وحده ما يجعلني أتحمّل مرغما رعب "بغداد السلام" المحيط من حولي))(54) فلم يكن الشعب العراقي في الرواية إلا شعبا يعيش أزمة حادة بعد سقوط الموصل ، فلم يجد إمامه إلا الاعتماد على الحبوب المنومة ((بعد اكتشاف الخلطة العجيبة المعجونة بترتيب من نصف حبة ماوية مع نصف حبة أم الحاجب قبرصية مع حبة مغاوير 5 أما (VALIAPM 10) فهو حرام ثم حرام إلى يوم الدين يقولون هناك فتوة ، ثم بعدها يبلع حبة دكسن ينتعش

بلاعها ويحلق وينسى الموصل والبصرة معا))(55) وكان عدد تلك الأقراص في صورة ثلاثة أقراص ، وهي تمثل أوقات تناول الدواء عادة مقسمة على ساعات اليوم ، لتشير إلى ان فقدان الوعي والغياب في ظرف مثل ظرف العراق بعد هزيمة الموصل يحتاج إلى غياب كامل عن الوعي من أجل استيعابه وتحمل تلك الصدمة المدوية . ((عندما وصلت ، وجدت الناس يتخبطون فيما يفعلون ، لا يعرفون ما تؤول أليه الأمور بعد ضياع الموصل ، والبرابرة على الأبواب يتلذذون قي قضم ثلث حبة العدس))(56).

المكان والانتماء:

يحتل المكان أهمية مميزة في النصوص الروائية ، فقد منح الكتّاب أهمية خاصة للمكان ، اذ إنَّ طبيعة الحدث وانتماء الشخصية تتحدد في بعض تلك الأعمال بمكان السكن أو العمل أو الفضاء التي تعيش فيها تلك الشخصية ، حتى يبدو من تلك الأماكن أنَّ هوية الانتماء فيها شيئا مكتسباً أكثر مما هو معطى ، ولا سيما في رواية (فاليوم عشرة) للكاتب خضير الزيدي ، إذ بدأت الرواية وكأنها ترسم صراعا بين هوية معطاة وأخرى مكتسبة ، وإذا كان هذا بحد ذاته ليس جديدا أو مستغربا في عوالم السرد الروائي أو غيره من الأجناس ، فان اللافت هو دور المكان في كل ذلك وطبيعة الهوية التي يتمخض عنها الانتماء إلى المكان ، والاختيارات التي يقوم بها الكاتب بين مكان وأخر وتحريك الشخوص على هذا الأساس .

فالمكان ليس (موقع) الحدث فحسب ، بل أنه دافع ومحرك للحدث ومسبب لكل ما تقوم به الشخصيات من حركه داخل العمل الأدبي ، و هو واحد من العناصر التي يتخلّق وعي الإنسان وتتشكلّ تجاربه عبر تماسه معها ، فهو بذلك ليس وعاءً مجرداً لوقوع الحدث ، أو حيزاً للحياة فحسب ، بل صورةً مهمةً من صور وجودها . ويسهم الانتماء في تشكيل الهويات فالبحث عن الكيان والهوية يأخذ شكل الفعل عن المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها ، ويستمد المكان دلالته من تعامل الشخصيات معه فهو لا يحمل قيمة ذاتية خارجية بل قيمته النصية تؤسسها علاقة الشخصيات به لان الإنسان هو الذي يسقط عليه الدلالة التي يعبر بها من الوجود الجغرافي والهندسي الجاف والأجوف إلى الوجود المكثف والثري بالمداليل والمعاني(57) .

في ملاحظتنا للمكان الذي عاش به البطل في رواية (فاليوم عشرة) نلحظ الجانب النفسي لبطل الرواية في تلك الأماكن من حيث تأقلمه وعدم تأقلمه في ذلك المكان وانعكاس ذلك في سلوكياته وأفعاله ، والشخصيات التي صادقته في تلك الأماكن وأثرها في تلك الشخصية، وفي تأصيل انتسابه للمكان أو عدمه ، بمعنى أخر شعوره بالانتماء إلى تلك البيئة من خلال قوة ارتباطه بتلك الشخصيات والعوالم المحيطة به وكما لاحظنا في دراستنا للشخصيات .

إضاءة :

لقد استطاعت الرواية ان تصور الخراب ودمار بنية المجتمع الذي انعكس على المواطن العراقي ،والتأرجح بين الانتماء والانفصال ، بلغة منسوجة بين الفصحى والعامية ، لتعبير عن ذلك الدمار الذي أصاب مفاصل الحياة ، معتمدا على تقنية الوصف لدواخل الشخصيات وحالتهم النفسية التي تقودهم إلى التفكير بالانتحار الجماعي للخلاص من جحيم الحياة . وبين محاولات التشبث بالحياة وإيجاد بصيص من الأمل المفقود ، من خلال الحب للآخر والوطن .

فشخصية سلام وشخصية سليمة بل حتى شخصية جاد الله الصومالي تعيش الانتماء لأي مكان فالمكان الأوربي هو مكان الأمان والسلام والمكان العربي مكان الذكريات والأهل ولكنه مكان يفتقد إلى الأمن والسلام . فحتى عند عودة سلام إلى الوطن لم يشعر بشي يجذبه إليه ، بل الخوف والقلق .

الهوامش:

1. رواية فاليوم عشرة: 7
2. الرواية :37.
3. الرواية:45.
4. الرواية:16.
5. ينظر : الرواية: 82.
6. الرواية:214.
7. ينظر :الرواية: 222.
8. الرواية:47.
9. الرواية:36.
10. الرواية:73.
11. الرواية:19.
12. الرواية:28
13. ينظر :مقال :كتابة المنفى بدل كتابة المهجر، عبدالله إبراهيم، مقال شبكة المعلومات www.shorouknews.com .
14. الرواية :55.
15. السرد, الاعتراف الهوية:160
16. الرواية :9.
17. الرواية:5.
18. الرواية:13
19. الرواية:159.
20. الرواية:230.
21. الرواية:86.
22. الرواية:87.
23. الرواية :186، 187.
24. الرواية:166.
25. الرواية:182.
26. الرواية: 206.
27. الرواية: 112.
28. الرواية:206.

29. الرواية:113.
30. الرواية: 114.
31. الرواية:126.
32. الرواية:59.
33. الرواية:67.
34. الرواية:68. 69.
35. الرواية:120.
36. الرواية: 72.
37. الرواية: 82.
38. الهوية العراقية و(تذويت) الهويات الفرعية- شمخي جبر- موقع الحوار المتمدن.
39. ينظر :الرواية : 74.
40. الرواية :134.
41. الرواية :134.
42. الرواية :95. 96.
43. الرواية :43.
44. الرواية :169.
45. الرواية ::99.
46. الرواية :100.
47. الرواية :22
48. ينظر :الرواية :23. 24.
49. الرواية :222.
50. الرواية :10.
51. ينظر سيميائية الألوان في القران : 95
52. الرواية : 98.
53. الرواية :99. 100
54. الرواية : 31.
55الرواية : 21.
56. الرواية :17.
57. رواية المرأة العربية من 1990 إلى 2007في ضوء النقد النسوي : 148.

المصادر :

. رواية المرأة العربية من 1990 الى 2007 م في ضوء النقد النسوي ،هدى حسين الشيباني ،ط1 ، بغداد،2013
. السرد والاعتراف والهوية د. عبد الله ابراهيم ,ط1 , 2011 , المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت , لبنان .
. سيمياء الألوان في القرآن الكريم ، كريم شلال ، دار البصائر ،2012.
. فاليوم عشرة ، خضير فليح الزيدي ،منشورات ضفاف ، تونس ، 2016.
.كتابة المنفى بدل كتابة المهجر، عبدالله إبراهيم، مقال شبكة المعلوماتwww.shorouknews.com
. الهوية العراقية و(تذويت) الهويات الفرعية- شمخي جبر- موقع الحوار المتمدن .